علم تحقيق المخطوطات

أ.د. علي زوين

Manuscripts investigations science

Prof.PhD. Ali Zouein

The investigations in it's general meaning, is the certainty and replacing the doubts with certainty ,but for the manuscripts investigations ,, it means publishing what the book's author put in his original copy or closer ,by following special procedures for that after inferring the book's title and it's right linage for the author ,the manuscripts investigations has great importance in archiving the information ,letters, and the books and it is one of the sciences that grown in modern times and mostly gets used of it the Arabic heritage ,because it gives life for most of the books and puts them in the hands of the readers .the roots of this science extends deeply in the Islamic heritage . The archiving of the holy prophet (Muhammad) speaehs, the recur of the Holy Quran texts and the ways of copying the books ,,they all refer to the origins of this science

التحقيق : تعريفه وأهميته وأصوله في التراث الاسلامي

التحقيق في معناه العام يعني التثبت من مسألة ما وقطع الشك باليقين فيها والاستدلال عليها بمعايير منطقية لا تقبل النقض .

وتحقيق المخطوطات هو التحقيق بمعناه الخاص ويعني إخراج الكتاب كما وضعه مؤلفه أو قريباً من وضع المؤلف باتباع مناهج مخصوصة بذلك بعد الاستدلال على عنوان الكتاب ونسبته الصحيحة الى مؤلفه .

ولتحقيق المخطوطات أهمية بالغة نختصرها فيما يأتي :

١-توثيق عنوان الكتاب ونسبته الى مؤلفه بما لا يدع مجالاً للشك او حتى للظن في العنوان والنسبة .

٢-إخراج الكتاب كما وضعه مؤلفه أو قريباً من وضعه إياه .

٣-اطمئنان الباحث الذي يتخذ من مخطوطة ما مصدراً في بحثه الى صحة الكتاب وضعاً وتأليفاً وعنواناً ونسبة . ويعني ذلك صحة النتائج العلمية المتوخاة من اعتماد المخطوط المحقق وما يترتب عليها من استنتاجات صحيحة يصل إليها الباحث .

٤-إن تخريج الشواهد المختلفة وشرح بعض الألفاظ وتوضيحها في سير التحقيق يعد عاملاً مهماً في فهم المحتوى ويساعد الباحثين كثيراً في فهم المخطوط واختصار الوقت في البحث عن أغراض مؤلف المخطوط فيما تضمنه كتابه .

٥-إن صنع الفهارس الفنية العامة للمخطوط يعد من العوامل المهمة في اختصار الزمن ومساعدة الباحثين في البحث عما يعنيهم إذ يوفر لهم كثيراً من الوقت في استخراج المعلومة أو المعلومات التي يبحثون عنها مستعينين بتلك الفهارس المتنوعة التي يضعها المحقق .

وأما علم تحقيق المخطوطات من حيث المنهج والسبل المتبعة فيه فهو وليد العصر الحديث إذ نشأ في أوربا في عنفوان حركة الاستشراق في القرنين التاسع عشر، وتبوأ عدد من مشاهير المستشرقين ولاسيما الألمان والانكليز والفرنسيين مكاناً مهماً في تحقيق أصول المخطوطات العربية والشرقية واتبعوا في نشرهم لهذه المخطوطات سبل العلم التوثيقي ، فكانت حصيلة ذلك كله علم يدعى بعلم تحقيق النصوص والمخطوطات .

ولم يقتصر عملهم على تحقيق المخطوطات المكتوبة على الرقّ والبردي والكاغد والورق بل تعداه الى مجموعة كبيرة من النصوص المنقوشة على الألواح والرقم الطينية والمسلات والأواني الفخارية وشواهد القبور والأختام ... الخ .

والسؤال المهم الذي يطرح بهذا الصدد هو : هل كان لهذا العلم الذي نسميه علم تحقيق المخطوطات جذور وأصول في تراثنا الاسلامي ؟

الجواب: نعم، إذ نجد لهذا العلم أصولاً واضحة في تراثنا الإسلامي تنجلي فيما يأتي:

١-تواتر المسلمين على نقل النص القرآني وما يتعلق بعلم رسم المصحف والقراءات القرآنية .

٢-معايير توثيق الحديث النبوي الشريف وما يتصل بها من أسس الجرح والتعديل في رواية الحديث.

٣-علم الشروط والسجلاّت في التراث الفقهي الإسلامي .

٤-طرائق استنساخ الكتب في المعارف المختلفة عن أصولها لمؤلفيها وما يرتبط بذلك من توثيق النصوص والمقابلة على الأصول والاستدراك وما نجده من تملكات على النسخ وقراءات على المؤلف أو غيره من ثقات الرواة والعلماء ... الخ .

مقدمات التحقيق

١-اختيار النسخ :

إن أغلب الكتب المخطوطة في التراث الإسلامي ولاسيما المشهورة منها المتداولة بين العلماء وطلاب العلم لها أكثر من نسخة واحدة ، وربما تصل الى نسخ عديدة للكتاب الواحد منتشرة في مكتبات خاصة أو عامة أو في مراكز المخطوطات في العالم شرقاً وغرباً مثل ليدن والأسكوريال وروما وبرلين والمتحف البريطاني وباريس والفاتيكان ومراكز المخطوطات العربية والشرقية في الولايات المتحدة الأمريكية ودار الكتب الوطنية بالقاهرة وجامعة الأزهر والإسكندرية واسطنبول وطهران وقم ومشهد وموسكو وبطرس برك وبلدان آسيا الوسطى .. الخ.

وأول عمل ينبغي للمحقق أن يقوم به هو جمع النسخ المختلفة للكتاب الذي ينوي تحقيقه، وللوصول الى مراده هذا يجب عليه أن يتبع ما يأتي :

أ. مراجعة فهارس المخطوطات المعتمدة في العالم واستحصال صور مكبرة لها أو الحصول على ما يعرف بالميكروفيلم أو الاقراص المدمجة ومن ثم تكبيرها على الورق .

ب.وبعد الحصول على نسخ المخطوط أو على المهم منها يقوم بفحص علمي لكل نسخة ودراسة شواهدها المختلفة كاسم الناسخ وتاريخ النسخ والتملكات ومضمون النسخة ومدى كمالها وتمامها ووضوحها وما يعرض لبعضها من نقص وسقط وأغلاط وطمس واستدراكات للوصول الى أفضل النسخ وأكثرها ضبطاً وقرباً من نسخة المؤلف .

ت.تعد نسخة المؤلف أو النسخة المنقولة عنها أعلى النسخ من حيث الرتبة والثقة ، تليها أقرب النسخ الى تاريخ نسخة المؤلف .

ث.إذا عثر على نسخة موثقة سواء أكانت نسخة المؤلف أم نسخة منقولة عنها أم نسخة قريبة العهد من المؤلف وكانت ناقصة أو فيها سقط أو طمس أو بعض الأغلاط اعتمدها جبر ما فيها من نقص وخلل بنسخ أخرى وفقاً للترتيب الزمني .

ج. تتفاضل النسخ – فضلاً عن قربها من عهد المؤلف – بأمور أخرى ؛ فالنسخة المؤرخة بتاريخ النسخ أفضل بكثير من النسخة التي تخلو من تاريخ ، والتي صرح فيها باسم الناسخ أفضل من التي أغفلت اسم الناسخ ، والمكتوبة بخط واحد أفضل من التي كتبت بقلمين (بخطين) أو أكثر ، والنسخ التي عليها تملكات وبخاصة إذا كانت التملكات لعلماء ورواة معروفين أفضل من غيرها ، والنسخة المعارضة على أصل معتمد موثوق به وقد صُرّح بالمعارضة أفضل من سواها أيضاً ... وهكذا تتفاضل النسخ فيما بينها بقدر ما عليها من دلالات التوثيق المتنوعة .

ح. النسخة الخالية من تاريخ النسخ لابد من فحصها للتثبت من تاريخ نسخها ولو تقديراً. بالاعتماد على نوع الورق والخط ولونه وبالاستعانه بخبراء للخط والنسخ ويعتمد المحقق في ذلك على فحص الورق والحبر والخط والقرائن الموجودة في النسخة وأهمها التملكات لأن اغلبها مؤرخة.

وبعد أن يتم للمحقق فحص النسخ على النحو المذكور آنفاً يعتمد على أفضلها وأعلاها رتبة أصلاً في التحقيق ويعتمدها في تحرير المخطوطة ويقابلها على النسخ الأخرى أو بعضها إذا كانت كثيرة بحسب الأفضلية ويثبت أوجه الخلاف في الألفاظ والعبارات في حواشي النسخة المحررة بعد أن يرمز الى الأصل والفروع برموز يتبعها من أول النسخة المحررة الى آخرها . وعادة ما تكون الرموز الى النسخ بخزائنها كأن يشير الى المخطوط

الموجود في مكتبة الفاتح باسطنبول بالحرف (ف) أو الى النسخة الموجودة في مكتبة برلين بالحرف (ب) ... وهكذا .

وقد يشار الى نسخة الأصل بالحرف (ص) ويشار الى النسخ الفرعية بأحرف أخرى، أو يشار الى الأصل بالحرف (أ) والى النسخ الأخرى بحسب الترتيب الأبتثي او الأبجدي: ب-ت-ث ..الخ ، أو : ب-ج-د-هـ... الخ .

٢- دراسة الخط والحبر والورق وتأريخ النسخة والتملكات وغيرها من القرائن التوثيقية :

أ. الخط : تكتب المخطوطات بأقلام مختلفة ، وللخط تأريخه المعروف وتظهر أنواعه تبعاً لازمنة متغايرة ؛ ففي العربية -مثلاً- أنواع من الخطوط تعرف (بالأقلام) ، منها : الكوفي والنسخي والرقعة والثلث والديواني والفارسي ...الخ .

وينبغي للمحقق أن يحيط إجمالاً بتاريخ الخطوط وأنواعها ويعنى على نحو مخصوص بالخط الذي كتبت به المخطوطة التي يريد تحقيقها ؛ فقد يكون الخط معتاداً وقد يكون واحداً من الخطوط المعروفة . وقد اشتهرت مخطوطات المشرق العربي بالقلم المعتاد وقلم النسخ والرقعة والفارسي ، أما مخطوطات المغرب العربي فقد شاع فيها ما يعرف بالخط المغربي والأندلسي المشتقين من الخط الكوفي .

ويختلف الشكل والإعجام تبعاً للخطوط ؛ ففي الأقلام المشرقية شاع الإعجام المعروف بالنقط فوق الحروف وتحتها والشكل بالفتحة والضمة والكسرة والشدة والسكون والمدّ ... الخ ، وقد استقر هذا الضرب من الشكل في المخطوطات التي كتبت في القرون الهجرية المتوسطة والمتأخرة .

أما في مخطوطات المغرب العربي فقد بقي الإعجام والشكل على طريقته القديمة التي ظهرت في المشرق إبّان القرنين الأول والثاني الهجريين ، أي بوضع النقط السوداء على الحروف أو تحتها شكلاً وبوضعها حمراء فوق الحرف وجانبه وتحته فتحةً وضمة وكسرة وجعل النقطة نقطتين إذا كان الحرف منوناً .

واختلف ترتيب الحروف العربية بين المشارقة والمغاربة ، فقد بقي المغاربة على النهج المشرقي القديم وهو الترتيب المعروف بالأبجدية ، وهذا الترتيب كان متبعاً في ترتيب الحروف العبرية والسريانية أيضاً وربما أخذه علماء العربية عن السريان ثم تغير الترتيب عند المشارقة الى ما يعرف بالأبتثية. (أ ب ت ث .....)

ب- الحبر: ويعرب (بالمداد) ، وله أنواع مختلفة أشهرها الأسود والأحمر والأزرق. وله طرائق عديدة في صناعته وتجويده وألفت في ذلك بعض الرسائل وذكرت كيفية صنعته أيضاً في الكتب المؤلفة في الكتابة مثل (أدب الكاتب) لابن قتيبة وشرحه المعروف بـ(الاقتضاب) لابن السيد البطليوسي وكتاب (الكُتّاب) لابن درستويه.

وللكتابة أدوات معروفة غير المداد كالقلم والقرطاس والمحبرة ، وقد اشارت الكتب المصنفة في هذا الفن الى أهمية هذه الأدوات وكيفية الاستفادة منها .

ولابد للمحقق ان يتعرف على الحبر الذي كتبت به المخطوطة إذا اطلع على نسختها الأصلية وشك في تاريخ نسخها، ويمكن تحليل الحبر ومعرفة تركيبه في مختبرات معملية خاصة، كما يمكن الاستدلال به على تاريخ المخطوط ولو كان احتمالاً . ومن الطرائق المستعملة في هذا الفن معرفة نوع الحبر لمعرفة تأريخه أيضاً ، فقد عرفت أنواع متأخرة من الأحبار ولاسيما المصنعة منها في دول أوربا يستدل بها على حداثة المخطوط .

ج- الورق : ويعرف بالقرطاس أيضاً ، وله أنواع ، منه ما كان يعرف بالكاغد وقد اشتهر استعماله في العصر العباسي. وله قياسات مختلفة كالقطع الكبير والمتوسط والصغير . وينبغي للمحقق أن يكون على دراية بالورق الذي كتبت عليه المخطوطة التي يريد تحقيقها إذا أشكل عليه تاريخ نسخها ، لأن الورق من القرائن المهمة في تقدير عمر المخطوطات واستظهار صحيحها من زيفها.

د- تاريخ النسخة والتملكات: تاريخ النسخة أي تاريخ فراغ الناسخ من تحرير النسخة من أهم القرائن على أصلها ويجب ان يتحرى المحقق عن هذا التاريخ وبخاصة إذا ثبت الناسخ اسمه. ودرجت المخطوطات العربية والشرقية على ذكر التاريخ واسم الناسخ في خاتمة النسخة . وتتخذ النسخة أهمية أكثر إذا كان الناسخ معروفاً أو من العلماء المعروفين فتزداد ثقة المحقق بالمخطوط.

أما التملكات فهي من القرائن المهمة أيضاً في معرفة تاريخ النسخة إذا كانت خالية من التاريخ واسم الناسخ. وقد نجد على النسخة الواحدة عدة تملكات مؤرخة أو غير مؤرخة ، والمؤرخة منها أهم لأنها دالة وقرينة على تاريخ المخطوط ، يضاف الى ذلك ما نجده في بعض المخطوطات من عبارات الوقف لأن الوقف غالباً ما يذكر فيه اسم الواقف وما وقفه

عليه وشروط الوقف، وهذا كله من القرائن التوثيقية التي يستفاد منها في معرفة تأريخ كتابة المخطوط.

٣-توثيق عنوان الكتاب ونسبته الى مؤلفه :

إن أغلب المخطوطات لها عنوانات ومن النادر أن نجد مخطوطة خالية من عنوان . ولابد للمحقق أن يتوقف بالأدلة القاطعة على صحة عنوان المخطوطة ويتم له ذلك باتباع الخطوات الآتية:

أ. البحث في فهارس المخطوطات في المكتبات العامة والخاصة .

ب.البحث في الكتب الأخرى التي صنفها المؤلف نفسه ، لأن من المؤلفين من يشير الى كتبه أو بعضها في مؤلفاته الاخرى.

ت.البحث في مؤلفات الآخرين الذين عاصروا مؤلف المخطوط أو جاءوا بعده ، فقد نجد نقولاً من الكتاب الذي يراد تحقيقه أو إشارة الى عنوانه .

ث.البحث في كتب التراجم والوفيات ، لأن مشاهير العلماء القدماء قد ترجم لهم في موسوعات ، وفي ترجماتهم ذكر لمؤلفاتهم أو المشهور منها ، ونجد هذا الأمر واضحاً في الأدب العربي وبعض الآداب الشرقية الأخرى.

وأما إذا كانت المخطوطة خالية من عنوان فالتحقيق يقتضي المبالغة في التحري للاهتداء الى العنوان لأن خلو المخطوطة من عنوان دال على موضوع الكتاب يفقدها الكثير من أهميتها ويعرضها للقدح وربما للطعن بصحتها ونسبتها الى المؤلف .

ويتبع المحقق الخطوات المذكورة سابقاً لتوثيق نسبة الكتاب الى مؤلفه؛ فتوثيق عنوان الكتاب وصحة نسبته الى مؤلفه أمران متلازمان .

٤- تحقيق المتن

بعد أن ينجز المحقق مقدمات التحقيق يشرع في تحقيق المتن فيحرر المخطوط في صفحات بخط جلّي واضح متبعاً سبل التحرير الحديثة من حيث علامات الترقيم وتقسيم الأبواب والفصول. ويقابل بين النسخة التي اتخذها أصلاً في التحقيق والنسخ الأخرى ويثبت الاختلافات في الحاشية ويستدرك ما سقط من الأصل أو ما كان ممسوحاً أو ما فيه غلط واضح .

وينتهي الى كتابة نسخة جديدة ويجمع ما أستخرجه من الشواهد المختلفة وما يحتاج الى تحقيق من ألفاظ وعبارات ويشكّل الألفاظ إذا كانت المخطوطة عربية بالشكل المتعارف عليه

في اللغة العربية وذلك بالاستعانة بالمعجمات والقواميس المعروفة كلسان العرب لابن منظور والقاموس المحيط للفيروز آبادي وتاج العروس في شرح القاموس للسيد مرتضى الزبيدي...الخ وغيرهم.

وبعد أن يستخرج الشواهد المختلفة يحيلها الى مصادرها للتثبيت من صحتها ويضيف إليها ما يقتضي المتن شرحه وتوضيحه .

وتختلف شواهد المخطوطات باختلاف لغاتها وموضوعاتها ؛ فالمخطوطات العلمية الصرفة يحتاج فيها المحقق الى شرح ما أشكل أو أبهم من اصطلاحات العلوم التي كانت معروفة في زمن المؤلف ، وأما المخطوطات التأريخية والأدبية واللغوية فتعد الشواهد الآتية أكثر الشواهد شهرة وتداولاً :

١-الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة وأقوال الصحابة والتابعين : وتوثق هذه الشواهد بالرجوع الى مصادرها الأصلية : القرآن الكريم ومجاميع الحديث المعتمدة وكتب طبقات المحدثين والصحابة والتابعين وكتب الوفيات العامة كوفيات الأعيان لابن خلكان وكتب التواريخ كالطبري وابن الأثير وابن العماد الحنبلي وكتب التراجم وغيرها من المصادر المعنية بهذا الموضوع .

٢-النصوص النثرية كالخطب والرسائل والأمثال والأقوال وربما القصائد الشعرية: وتوثق هذه الشواهد بالرجوع الى الكتب المعنية بها وبالمؤلفات الأدبية العامة وتراجم الأدباء كالأغاني لأبي الفرج الأصبهاني وكتب الجاحظ والكامل للمبرد ومعجم الأدباء لياقوت الحموي وكتب الأمثال ككتاب الأمثال للميداني .

٣- النصوص الشعرية :

ينبغي للمحقق أن يوثق الأبيات الشعرية بالرجوع الى دواوين الشعراء إذا كانت مطبوعة أو مخطوطة وأمكن الاهتداء إليها . وإن لم يجد للشاعر ديواناً فعليه الرجوع الى كتب الأدب العامة والكتب المختصة بالشعر والشعراء ، ككتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة وجمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي وطبقات الشعراء لابن سلام وطبقات الشعراء المحدثين لابن المعتز ومعجم الشعراء للمرزباني ... الخ .

٤- الأعلام :

الأعلام على قسمين منها ما هو مشهور معروف لا يحتاج الى ترجمة ، ومنها ما هو غير مشهور ويحتاج الى ترجمة . وعلى المحقق أن يعرّف بالأعلام من هذا القبيل أينما

يجدها في المخطوطة ويترجم لها على نحو مختصر مع الاشارة الى أهم المصادر في الترجمة . ويعود في ترجمته الى كتب التراجم العامة كوفيات الأعيان والدرر الكامنة والكواكب السائرة وكتاب الأعلام للزركلي ...الخ .

٥- أسماء المدن والأمكنة والبقاع:

ويجب على المحقق أن يعّرف باسماء الأقاليم والمدن والقرى والأمكنة والبقاع الت ترد في المخطوطة بالرجوع الى كتب البلدان المعروفة كمعجم البلدان لياقوت الحموي والروض المعطار للحميري .

٦- أسماء الكتب الواردة في المخطوطة :

قد يجد المحقق أسماء كتب ترد في المخطوطة فلابد له من التعريف بهذه الكتب والإشارة الى أسماء مؤلفيها بالرجوع إليها إن كانت منشورة والى فهارس المخطوطات والمصادر المعنية بأسماء الكتب والمؤلفين كالفهرست لابن النديم وكشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة .

صنع الفهارس العامة :

إذا أنجز المحقق تحقيق المخطوطة وباشر بطبعها فعليه أن يضع فهارس فنية عامة للكتاب المطبوع . وتعد الفهارس الفنية ذات أهمية بالغة في فهم محتويات الكتاب واستفاد الباحثين منه ؛ فهي كالمفتاح للباحث لكي يسترشد بها وصولاً الى مبتغاه من المعلومات والفهارس الفنية تختصر الوقت والجهد للباحثين فيما لا جدوى منها ، فقد يحتاج الباحث الى معلومة صغيرة من الكتاب وبدلاً من تضييع وقته وجهده يمكنه استخراج ما يريد من فهارس الكتاب لأنها ترشده الى المعلومة ومكان ورودها في الكتاب . وفيما يأتي الفهارس المهمة التي ينبغي للمحقق أن يدرجها في كتابه المطبوع :

١. فهرس لموضوعات الكتاب ، ويفضل أن يكون فهرساً تفصيلياً.
٢. فهرس الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة .
٣. فهرس الأقوال والأمثال.
٤. فهرس الأشعار .
٥. فهرس الأعلام .
٦. فهرس البلدان والأمكنة والبقاع .
٧. فهرس الألفاظ .

المصادر

١- برجشتر اسر : أصول نقد النصوص ونشر الكتب – وزارة الثقافة (مركز تحقيق التراث) – دار الكتب – القاهرة ١٩٦٩ .

٢- رمضان عبد التواب : مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين – مكتبة الخانجي – القاهرة ١٩٨٥ .

٣- روزنتال (فرانتز) : مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي – ترجمة أنيس فريحة – دار الثقافة – بيروت ١٩٨٠ .

٤-صلاح الدين المنجد : قواعد تحقيق النصوص – مجلة المخطوطات العربية – العدد الأول – السنة الثانية – القاهرة ١٩٥٥ .

٥-عبد السلام هارون : تحقيق النصوص ونشرها – مؤسسة الحلبي وشركاه – القاهرة ١٩٦٥,

٦- علي زوين : علم الوثائق والتوثيق في تراثنا الإسلامي مع تحقيق رسالة (التنبيه الفائق على خلل الوثائق) للحمزاوي مجلة (آفاق الثقافة والتراث) – تصدر عن دائرة البحث العلمي والدراسات بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث – السنة الرابعة عشرة – العدد الثالث والخمسون (صفر ١٤٢٧ هـ – أبريل (نيسان) ٢٠٠٦م – دبي (دولة الإمارات العربية المتحدة) .